مجلة الجامعة القاسمية

للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

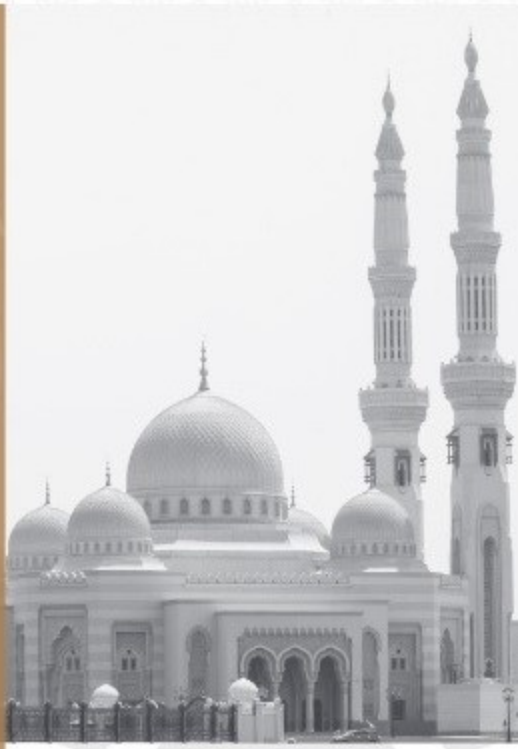

المجلد: 2، العدد: 1

ذو القعدة 1443هـ / يونيو 2022م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات: 5526- 2788

AQU Journal of Shari'a Sciences and Islamic Studies, Vol. 2 No. 1, pp. 01-44 (June 2022)
DOI:10.52747/aqujssis.2.1.123
E-ISSN 2788-5534 / ISSN 2788-5526

بين القرآن والشعر– استنكار واستثمار

POETRY VERSUS QURAN - DISAPPROVAL AND USAGE[1]

أحمد سعد الخطيب

الجامعة القاسمية – الإمارات العربية المتحدة

Ahmad Saad Al-Khatib

Al Qasimia University, UAE

الملخص:

يحكي هذا البحث قصة الشعر مع القرآن الكريم، وبيان موقف القرآن منه استنكارا لرديئه الذي لا يتفق وأخلاق الإسلام، واستثمارا لجيده الصادق الذي حاز إعجاب الرسول ﷺ فآثر سماعه من قائليه، أو ممن يرويه عنهم. كما يتناول البحث ما حيك حول القرآن من دعوى تأثره بالشعر؛ استنادا إلى ما في بعض عباراته القصيرة من أوزانه، كما يتناول أيضا ما حيك حول النبي ﷺ من زعم أنه كان يقول الشعر، رغم نفي القرآن عنه ذلك. ويتبنى البحث الجواب عن هذه الأسئلة وغيرها، مقتفيا أسلوب التوجيه المقنع وطريقة الحوار الموضوعي في كل مسألة تحتاج إلى رد ودفع، وهو المنهج نفسه الذي سلكه البحث في رد زعم تأثر القرآن بشعر أمية بن أبي الصلت، كما ينبه البحث على قيمة الشعر الأصيل الجامع لشروط الاحتجاج التي نص عليها العلماء، ودوره المستثمر في فهم معاني القرآن الكريم، وفي الدلالة على إعجازه. وقد سلك البحث مناهج علمية، هي: المنهج التاريخي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج النقدي.

(1) Article received: March 2022; article accepted: May 2022.

Abstract:

This research discusses the story of poetry and its relation to the Noble Qur'an. The research describes how the Qur'an disproves of immoral poetry that does not conform to the morals of Islam, in addition to the Quran's position towards the good poetry, which was appreciated by Prophet Muhammed, May Allah's Prayers and Peace be upon him. Also, this research examines two claims, the first one is that the Qur'an was affected by poetry, and the second one is that the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, used to say poetry, despite the Qur'an denying that. The research handles these questions and confounds both claims. The research depends on the method of persuasion and substantive dialogue on every issue. Notably, this is the same method used to examine the claim that the Quran was affected by the poetry of Umayyah ibn Abi al-Salt. The research highlights the value of authentic poetry, which meets the acceptance criteria by Arabic language scientists. In addition, this research discusses the poetic contributions to the clarity of the Quran's meanings and the proof of its inimitability.

الكلمات الدالة: القرآن– الشعر– استنكار– استثمار.

Keywords: The Qur'an, Poetry, Disapproval, Usage.

مفتتح وتقديم

بحمد الله نبدأ، ثم بالصلاة والسلام على رسوله الكريم نثني، ثم ندلف إلى هذا القول:

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على رسوله محمد ﷺ ليكون معجزته الدالة على صدقه، وحجته على العالمين أجمعين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقد هيأ الله له من الأسباب ما تنكشف به وجوه إعجازه، وأعظمها الوجه البلاغي، فهو الوجه المقدَّم رتبة وزمان إدراك؛ حيث أدركه العرب بمجرد سماعه، فأذعنوا لبلاغته فلم يقاوموه ولم ينازلوه؛ لأنهم أوعى من أن يسفوا بأنفسهم وبلغتهم، وأن يخوضوا معركة خاسرة. مع أن تمكُّن العرب من البلاغة وامتلاكهم ناصيتها ليس محل تشكيك، فقد بلغوا المنتَهَى في قرض الشعر المنتهِي إلى غاية ما تطيقه القدرة البشرية من البلاغة والرفعة. كما أنه لا يشك أحد من متتبعي أشعار العرب في أن هذه القدرات كانت متفاوتةً ما بين شاعر وآخر، بل بين الشاعر ونفسه، فقد يجيد الشاعر في قصيدة ما لا يجيده في أخرى، أو في غرض ما لا يدركه في غرض آخر، وكذا بين الخطيب ونفسه، فقد يجيد في موضوع ويخفق في موضوع آخر مهما كان بليغا.

أما القرآن الكريم، فهو بليغ كله لا تتناقص بلاغته أبدا، بل تتنافس في الفضل والعلو. وما أجمل كلمات الباقلاني وهو يصف ثبات بلاغة القرآن عند الحد الأعلى للبلاغة، وتنافسها فيما فوق ذلك، فيقول:

وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه .. على حد واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا. وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف.[1] وكذلك

(1) قد نسب الباقلاني الإعجاز إلى الآيات جريا على مذهبه الأشعري في جعل ما يقوم مقام سورة من الآيات، يقوم مقامها أيضا في التحدّي والإعجاز.

قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتا بيّنًا، ويختلف اختلافا كبيرا بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر...[1]

ولما كان الشعر أجود ما أنتجت العرب، وفيه وبه كان تفوقهم، وكان للقرآن الكريم مع الشعر مواقف، من نفيه عن القرآن أن يكون شعرا، وعن النبي ﷺ أن يكون شاعرا، ومن ذم القرآن للشعر الردئ المسف، ناهيك عما وجه من اتهامٍ للقرآن من بعض أهل القصور بأن فيه شعرا، وأن الرسول ﷺ قال شعرا، لكن من زاوية أخرى وجانب آخر مضيء نرى للشعر مدخلا قويا؛ بل له القدح المعلى في إثبات إعجاز القرآن البلاغي، وفي تفسيره وتبيين معانيه كذلك، رأيت أن أتناول بالدرس والتحليل هذه العلاقات القائمة بين الشعر والقرآن، سلبا وإيجابا، استنكارا واستثمارا، فكان هذا البحث:

بين القرآن والشعر– استنكار واستثمار

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في عدد من الأسئلة التي سعى البحث إلى الإجابة عنها، وسأقوم الآن بطرحها، وهي:

1- ما العلاقة بين القرآن والشعر، وهل صحيح أن القرآن حرَّم الشعر مطلقا؟

2- لماذا وصف العرب القرآن بالشعر، والحال أنهم واثقون من كون القرآن ليس كذلك؟

3- هل تأثر القرآن بأشعار الجاهلية كما يدعي بعض المشغبين؟

4- هل أمكن استثمار الشعر في تفسير القرآن، وفي الدلالة على إعجازه؟ وما مدى تطبيق ذلك في التراث الإسلامي، وما رؤية المعاصرين حول ما ذكرنا؟

الدراسات السابقة:

قد لا يكون موضوع الدراسة جديدا؛ فهو مطروح في كتب كثيرة؛ إما استقلالا أو بتضمينه في غيره، لكن الجديد هو ما قامت عليه فكرة البحث وما صاحبها من مقاصد

(1) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، "إعجاز القرآن" تحقيق السيد أحمد صقر (مصر: دار المعارف، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٧م) ص 37، 38 بتصرف.

وأهداف، أراد الباحث أن يثبتها بعد تحليلها ونقدها، وهي في الوقت نفسه تمتلك الإجابة عن الأسئلة المطروحة في مشكلة البحث، كما أن الدراسة تتميز برؤية الباحث الخاصة في مسائل مهمة منها بيان لماذا وصف العرب القرآن بالشعر؟ وما الذي دعاهم إلى ذلك؟ ولماذا ربطوا بين شعر أمية بن أبي الصلت والقرآن؟ وما موقف الباحث من مدخل الباقلاني في إثبات الإعجاز البلاغي للقرآني، ولو بالتسور على الشعر الجاهلي؛ الذي يرى الباحث أن إنصافه هو المدخل لإثبات ذلك الإعجاز، وليس الهجوم عليه؛ الذي منح المهاجمين له كالمستشرق "مرجليوث" وتلميذه "طه حسين" فرصة النيل منه.

ولهذا سأذكر من هذه الدراسات ما حمل عنوان: القرآن والشعر مع الضمائم التي اختارها أصحابها لتتمة العنوان، وكان مع هذا أقرب البحوث رحما إلى بحثي؛ مع إظهار الفروق بينها وبينه. ومنها:

1- أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، تأليف الدكتور شلتاغ عبود شراد. وهو كتاب نشرته دار المعرفة بدمشق طبعته الأولى سنة 1987. وفكرة الكتاب قامت على كيفية استلهام الشعراء المعاصرون فيوضات القرآن وتجلياته اللغوية عليهم في صك شعرهم الوطني وغيره.

وبالطبع هذا تناول بعيد عن تناولي، وغرض أبعد عن غرضي.

2- الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، تأليف عبد الهادي الفكيكي، وهو من منشورات دار النمير للنشر والتوزيع بدمشق، الطبعة الأولى سنة 1996. والكتاب مختص بالاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي؛ أي أنه يعالج مسألة لم أتعرض لها في بحثي؛ لعدم الاتفاق في الغرض بين بحثي وموضوع الكتاب.

3- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم – دراسة دلالية مقارنة، تأليف عودة خليل أبو عودة، وهو من منشورات مكتبة المنار بالأردن، الطبعة الأولى سنة 1405هـ – 1985م. وهو في الأصل أطروحة جامعية نال بها الباحث درجة الماجستير من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سنة 1981م. والكتاب معني بالتطور الدلالي والصوتي لبعض المفردات والمصطلحات القرآنية العقدية والشرعية؛ التي أضفى

عليها القرآن الكريم طابعه الخاص، متعاليا على الحد اللغوي عند العرب المتداول في شعرها الجاهلي. وهذا أيضا غرض بعيد عن غرض بحثي هذا.

وهكذا، قد تتفق البحوث في الأغراض العامة؛ لكن تبقى الفوارق متجسدة في الاهتمامات الخاصة مع العبق الذاتي للباحثين، وهو ما يفرق بحثا عن بحث، وباحثا عن باحث، والله يوفق كل المخلصين.

المناهج العلمية المستخدمة في هذا البحث: هذا وقد توسلت في سبيل إنجاز هذا البحث عددا من مناهج البحث العلمي، هي:

1- المنهج التاريخي.

2- المنهج الوصفي.

3- المنهج النقدي.

4- المنهج الاستنباطي.

تقسيم البحث:

وقد رتبته على مقدمة وثمانية مطالب هي:

المطلب الأول- تعريف الشعر ونشأته.

المطلب الثاني- أنماط الكلام العربي ومراتب تأليفه.

المطلب الثالث- موقف القرآن من الشعر.

المطلب الرابع – نسبة الشعر إلى القرآن الكريم في ميزان النقد.

المطلب الخامس – شعر أمية بن أبي الصلت والقرآن.

المطلب السادس – استثمار الشعر العربي كمفتاح لتفسير القرآن الكريم.

المطلب السابع – استثمار الشعر العربي بوصفه مدخلا إلى إثبات إعجاز القرآن البلاغي. والله تعالى أسال القبول والتوفيق.

المطلب الأول

تعريف الشعر ونشأته

الشِّعْر في اللغة: العِلْم «وَالأَصْلُ –فيه– قَوْلُهُمْ شَعُرْتُ بِالشَّيْءِ، إِذَا عَلِمْتَهُ وَفَطِنْتَ لَهُ. وَلَيْتَ شِعْرِي، أَيْ لَيْتَنِي عَلِمْتُ. قَالَ قَوْمٌ: أَصْلُهُ مِنَ الشَّعْرَةِ كَالدُّرْبَةِ وَالْفِطْنَةِ ... قَالُوا: وَسُمِّي الشَّاعِرُ شاعرا؛ لِأَنَّهُ يَفْطِنُ لِمَا لَا يَفْطِنُ لَهُ غَيْرُهُ. قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَنْتَرَةَ:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

يَقُولُ: إِنَّ الشُّعَرَاءَ لَمْ يُغَادِرُوا شَيْئًا إِلَّا فَطِنُوا لَهُ»[1] وأضاف الراغب: "وسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته"[2].

وفي الاصطلاح: « كلام مقفًى موزون على سبيل القصد»[3].

تاريخ نشأة الشعر

لا نشك في أن الشعر عند العرب قديم جدا، حيث من العسير تحديد زمن لبدايته؛ لأن العرب لم تكن توثق كتابةً شؤونها وأحداثها؛ بل كان الشعرُ نفسه أداة توثيقها للأحداث العظام عندهم؛ أما هو فإنه لم يحظ منهم بتوثيق زائد على الحفظ والرواية، والذي اقتصر على نقل الشعر منذ عصر قوته وشدته، لكنَّ مرورا على كلام كبار شعراء العرب جدير بأن يلفتنا إلى هذا القدم الضارب في التاريخ دونما تحديد.

قال الأديب الكبير الدكتور أحمد حسن الزيات: ومما يدل على أن الشعر قديم العهد قول امرئ القيس:

---

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي "مقاييس اللغة" تحقيق عبد السلام محمد هارون (سوريا: دار الفكر، 1979م) 3/ 194.

(2) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب ، "المفردات في غريب القرآن" تحقيق صفوان الداوودي، (لبنان: دار القلم بيروت، الطبعة الأولى) ، ص 456.

(3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني "التعريفات" ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر (لبنان: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى 1983م) ص127.

عوجا على الطلل القديم لعلنا ... نبكي الديار كما بكى ابن خذام[1]

وقول عنترة: هل غادر الشعراء من متردّم[2]

وقول زهير:

ما أرانا نقول إلا معارا ... أو معادًا من قولنا مكرورا[3]

وليس من غريب القول الحكم بأن الشعر مضى على نفس السنن العامة في التكوين ثم الترقي والتطور؛ إذ لا يعقل أن يكون قد نشأ بتلك القوة التي نراها في شعر امرئ القيس، وغيره من فحول الشعراء.

وفي هذا يطرح الباقلاني رأيه قائلا: «وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم؟ فقد قيل: إنه اتفق في الأصل غير مقصود إليه، على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام، ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا أنه قد تألفه الأسماع وتقبله النفوس تتبعوه من بعد وتعملوه»[4] ومضمون كلامه أن الشعر إنما حصل لهم بعد معاناة النثر المسجوع الموزون، ثم ارتقى منه إلى الشعر، وهو تصور معقول، لا نملك ما يجانبه ويعارضه.

---

(1) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، (لبنان: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ – 2004م) ص 151. وابن خذام رجل من طَيِيء لم يُسمَع شعره الذى بَكَى فِيهِ، وَلَا أي شعر له. ينظر: ابن سلّام، محمد بن سلّام بن عبيد الجمحي، "طبقات فحول الشعراء"، تحقيق محمود شاكر،(السعودية: دار المدني بجدة، د.ط) 1/ 39.

(2) مستهل معلقة عنترة بن شداد. «والمتردم: الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي، والتردم أيضًا مثل الترنم، وهو ترجيع الصوت مع تحزين. يقول: هل تركت الشعراء موضعًا مسترقعًا إلا وقد رقعوه وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، أي لم يترك الشعراء شيئًا يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغوا فيه، وتحرير المعنى: لم يترك الأول للآخر شيئًا» الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَنِي، "شرح المعلقات السبع" (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422هـ- 2002م) ص245.

(3) الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، طبعة دار نهضة مصر، حاشية ص 28، وينظر في بيت زهير، ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي "العقد الفريد" (لبنان: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ) ، 6/ 186.

(4) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص63.

المطلب الثاني

أنماط الكلام العربي ومراتب تأليفه

حتى تتحدد طبيعة النص القرآني وتُعرف خصوصيته التي بلغ بها مرتبة الإعجاز والتحدِّي، وفارق فيها كلام البشر، شعرا ونثرا وخطابة، أرى مناسبا الوقوف على مراتب تأليف الكلام عند العرب، لنبصر النسبة بينها وبين القرآن، ولنقف على وجوه الاتفاق والافتراق بينها وبين القرآن، وكذا وجوه الافتراق.

وحاصل مراتب تأليف الكلام العربي خمس:

«الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث "الاسم، والفعل، والحرف".

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض، فتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعًا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له: "المنثور من الكلام".

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضمًا له مَبَادٍ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له: "المنظوم".

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: "السجع".

والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن، ويقال له: "الشعر".

والمنظوم إما محاورة، ويقال له: "الخطابة"، وإما مكاتبة ويقال له: "الرسالة"، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكل من ذلك نظم مخصوص [1].

تحت أي نوع من أنواع الكلام المذكورة يندرج القرآن؟

والجواب أن القرآن الكريم لا يدخل تحت أي نوع منها، فالقرآن الكريم لا يوصف بكونه نثرا، ولا شعرا، ولا سجعا، بل هو نمط وحده، فهو قرآن وكفى.

يقول الدكتور طه حسين:"القرآن ليس نثرًا، كما أنه ليس شعرًا، إنما هو قرآن ولا يمكن أن يُسمَّى بغير هذا الاسم، ليس شعرًا فهو لم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثرًا؛ لأنه

(1) السيوطي، جلال الدين "معترك الأقران في إعجاز القرآن" (لبنان: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1408 هـ – 1988 م) 1/ 6؛ ونسب السيوطي الكلام إلى الأصبهاني، وهو أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي المعروف.

مقيد بقيود خاصة به، لا توجد في غيره، وهي هذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة، فهو ليس شعرًا ولا نثرًا، ولكنه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: 1] فلسنا نستطيع أن نقول إنه نثر، كما نصّ هو على أنه ليس شعرًا، كان وحيدًا في بابه، لم يكن قبله، ولم يكن بعده مثله..[1].

وإذا كان لكل مرتبة من هذه المراتب مزايا وخصائص؛ فإن القرآن الكريم «جامع لمحاسن الجميع على غير نظم لشيء منها، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له: رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع، كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: 41-42] تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيئة نظْم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى»[2].

المطلب الثالث

موقف القرآن من الشعر

حاصل موقف القرآن من الشعر:

الحق أقول: إن موقف القرآن من الشعر موقف متوازن متسق مع الرسالة الإلهية الهادفة إلى شيوع القيم والأخلاق الحميدة في ربوع المجتمع، والبعد عن كل ما يناقض هذا

(1) حسين، طه، "من حديث الشعر والنثر" (مصر: مؤسسة هنداوي) ص، 26، 27 وأضاف أيضا: "كان –القرآن– وحيدًا في بابه، لم يكن قبله، ولم يكن بعده مثله، ولم يحاول أحد أن يأتي بمثله. وتحدَّى الناس أن يحاكوه، وأنذرهم أن لن يجدوا إلى ذلك سبيلًا. وأراح الخطباء والكتاب أنفسهم من هذه المحاولة التي كانت في نفسها مستحيلة، والتي كانت تُعَد مروقًا وخروجًا على الدين، وأنتم تعلمون أن أهم الأسباب للإنتاج الأدبي إنما هي المحاكاة، فإذا قال الشاعر البليغ قصيدة وأعجب الناس بها فمنهم من يرويها ومنهم من لا يكتفي بهذه اللذة، بل يحاول أن يحاكيها ويأتي بأمثالها، وعلى هذا النحو ينتج الشعر، ويكون للشعراء تلاميذ ومقلِّدون، فمن هذه الناحية نستطيع أن نطمئن إلى أن القرآن لم يجد له مقلدًا ولم يجد له تلميذًا، هو وحيد في بابه لم يسبق ولم يلحق بما يشبهه، وإذن فمن الحق أن نضع القرآن في مقامه الخاص الذي لا يصح أن يقاس به شيء آخر، وأن نبحث عن النثر العربي." من حديث الشعر والنثر ص 27.

(2) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن 1/ 6.

من قول أو عمل. ولأن الشعر كانت له قيمته عند العرب بحيث يمكن لبيت من الشعر أن يعمل ما لا يعمله السيف من النكاية بالخصوم، أو ينال من عرضٍ أو نسبٍ ولو عن طريق الكذب، فقد ذم القرآن هذا النوع من الشعر المعتمد على الزيف والكذب، وعلى توافر الغرض والمصلحة عند الشاعر بما يدعوه إلى الزيف والمبالغة إن أراد مدحًا، أو إلى البهتان والادِّعاء إن أراد قدحا، وكل ذلك من أنواع الكذب، إذ هو جنس لها.

وكان قد اشتهر ارتباط الشعر العذب بالكذب وأنه تتعالى عذوبته كلما تعالى معنى الكذب فيه فأُثر عن العرب مقولة: "أعذب الشعر أكذبه"[1].

ولأن الشعر إذا كان بهذه الأوصاف لا يمكن قبوله إسلاميًا، فإن القرآن الكريم قد ذمّ الشعراء الذين يركبون مركبة الكذب ليصلوا من وراء ذلك إلى غاياتهم. قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: 224-226] ولكن لأن الشعراء ليسوا جميعا كاذبين، ولأن الشعر ليس جميعه كذبا، وليس جميعه منكرا، فقد استثنت الآيات فريق الصادقين في أشعارهم؛ لأنهم صادقون في إيمانهم وفي أعمالهم، فالشعر عندهم جند للحق وسيف على الباطل، فقالت: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: 227] وهذا الموقف المتوازن يقصي الآراء الشاذة التي تدعي أن الإسلام ذم الشعر من حيث إنه شعر، والصواب غير ذلك فموقف الإسلام

(1) لما جاء الإسلام عدّل هذا التعبير وصار أفضل الشعر أصدقه. حتى قال حسان:

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صَدَقا.

وترتب على هذا أن الشعر قد فقد سر عذوبته وهو الكذب انتصارا لقيم الإسلام العليا، ولا يهم كثيرا أن يفقد الشعر سر عذوبته طالما كانت هذه العذوبة مبنية على أساس من الكذب والتضليل. ولهذا قال الأصمعي: «وطريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لان. ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثي رسول الله ﷺ، وحمزة وجعفر– رضوان الله عليهما– وغيرهم لان شعره. وطريق الشعر هي طريق الفحول؛ مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرّحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الحمر والخيل، والافتخار. فإذا أدخلته في باب الخير لان» المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص76 «وقد قال بعض العقلاء – وسئل عن الشعر– فقال: إن هَزل أضْحك، وإن جَدَّ كذب، فالشاعر بين كذب وإضحاك» السيوطي، جلال الدين" المزهر في علوم اللغة وأنواعها" تحقيق: فؤاد علي منصور (لبنان: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م) 2/ 399.

الرافض للشعر إنما هو مقيد بالنوع المبتذل الذي تستباح فيه الأعراض وتنتقص به الفضيلة، ويشيع منه الكذب.

أما الشعر الحسن فقد كان النبي ﷺ يسمعه بل يطلبه أحيانا، فقد أخرج مسلم بسنده «عن عمر بن الشريد، عن أبيه. قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا؟" قلت: نعم، قال "هيه" فأنشدته بيتا، فقال "هيه" ثم أنشدته بيتا، فقال "هيه" حتى أنشدته مائة بيت» [1].

وكذلك سماعه ﷺ شعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير كل ذلك معروف.

وأيضا لا ننسى قيمة الشعر العربي وبالأخص منه الجاهلي في فهم مفردات القرآن الكريم، فالشعر الجاهلي مدخل مهم في ذلك كما أنه مدخل مهم في إدراك وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

لكن، ولأن نظرة العرب إلى الشعر كانت مرتبطة بمفهومهم عنه وهو أنه كذب، وأن أعذبه أكذبه، فقد اهتم القرآن الكريم بالرد عليهم حينما وصفوه ﷺ بكونه شاعرا، ونفى عنه تعلم الشعر فضلا عن أن يكون شاعرا[2] فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: 69-70] كما نفى عنه وصف الشاعر عندما قال المشركون كما أخبر القرآن: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: 5] وقالوا أيضا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: 36] هنا يتدخل القرآن فينفي عنه كل وصف

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الشعر، حديث رقم (2255) 4/ 1767.

(2) قال الزركشي: «قيل: الحكمة في تنزيه الله تعالى نبيه ﷺ عن الشعر وجوه: **أحدها**: أنه سبحانه أخبر عن الشعراء بأنهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: 225-226] وأن للشعر شرائط لا يسمى الإنسان بغيرها شاعرا كما قال بعضهم -وقد سئل عن الشاعر-: إن هزل أضحك، وإن جد كذب، فالشاعر بين كذب وإضحاك. فنزه الله نبيه عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنيء، وإنا لا نكاد نجد شاعرا إلا مادحا ضارعا، أو هاجيا ذا قذع، وهذه أوصاف لا تصلح للنبي ﷺ. **والثاني**: أن أهل العروض مجمعون -كما قال ابن فارس- على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسمه بالحروف المتنوعة، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضرب من الملاهي، لم يصلح ذلك لرسول الله ﷺ» الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر الزَّرْكَشِي، النكت على مقدمة ابن الصلاح، تحقيق زين العابدين بن محمد بلفريج (السعودية: أضواء السلف بالرياض، الطبعة الأولى 1998) 2/ 112، 113.

جائر كوصفه بأنه كاهن أو شاعر. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [الطور: 29-31] وقال عز وجل: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾ [الحاقة: 41-43].

وإذا كانت هذه الأوصاف قد أطلقها المشركون على النبي ﷺ بسبب القرآن؛ فإن هذه الآيات تنفي عن القرآن نفسه أوصاف الشعر والكهانة والسحر.

هل كان العرب جادِّين في هذه الأوصاف، وهل يفهم منها ذم الرسول ﷺ والقرآن؟

لا أتصور أنه يمكن أن ينطلي على مدرك لتاريخ العرب البلاغي وإنتاجهم لأبلغ ما عرفت العربية من الشعر، أن العرب لم يفرقوا بين القرآن والشعر، فأين هذا من ذاك؟ فنمط الشعر معروف أنه كلام موزون مقفى، وأما نمط القرآن وأسلوبه فله طبعه الخاص الذي أدركته العرب إدراك الخبير، فلم تستطع مناقضته حينما تحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه.

ولذا فإن الزركشي يربط بين نفي القرآن الوصف بالشاعرية عن الرسول ﷺ والكذب، على اعتبار ارتباط الشعر بالكذب في المفهوم العربي، وليس لأن العرب لم يفرقوا بين القرآن والشعر. وفي هذا يقول الزركشي:

«قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ﴾ [الحاقة: 41] أي كاذب. ولم يعن أنه ليس بشعر، فإن وزن الشعر أظهر من أن يشتبه عليهم حتى يحتاج إلى أن ينفى عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى المنطقيون القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب: شعرية» [1].

لكن لماذا صدر عنهم وصف النبي ﷺ أنه شاعر، ومثله وصفه بأنه ساحر أو كاهن طالما أننا نثق في أنهم يعرفون دقائق هذه الأوصاف كما أنهم يعرفون بعده ﷺ عنها؟

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/ 114.

والجواب عندي:

أن وصفهم القرآن بأنه شعر أو كهانة، ووصف الرسول ﷺ بأنه شاعر أو كاهن، هو وصف الصدمة الأولى، إذ إنهم لما سمعوا القرآن وأدركوا تميزه على كلامهم وصفوه بأفضل ما يعرفون، فهم لا يعرفون من الكلام أبلغ من الشعر، ولا من القوة الذاتية للأفراد أفضل من الكهان الذين كان لهم اتصال بالجن، حيث كانت العرب يفزعون إليهم بين الحين والآخر ليرسموا لهم خطا مستقبلهم، ويلجؤون إليهم قبل أسفارهم ليباركوا لهم سفرهم، أو ليردوهم عنه.

لكن لما استفاقت العرب من هول الصدمة بدأوا يفكرون ويدركون أنهم أمام نص هو نسيج وحده بلا نظير ولا شبيه، وأنه لعلو بلاغته المجاوزة لطاقة البشر لا يقاوم ولا يعارض، وأنه ليس أمامهم إلا الإذعان له، خصوصا أنه قد تحداهم واستنفر هممهم ليعارضوه بسورة منه، ومع توفر الدواعي للقيام بأمر هذه المعارضة قد ضعفوا وعجزوا؛ ومن ثم فإن الوليد بن المغيرة في لحظة يقظة لضميره اعترف بفضل القرآن ونفى عنه أن يكون شعر شاعر، أو زمجرة كاهن، وقال كلامه الذي اشتهر اشتهار الأمثال:

«لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ، قَالُوا: فَنَقُولُ: مَجْنُونٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ. لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ، فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ، وَلَا تَخَالُجِهِ، وَلَا وَسْوَسَتِهِ، قَالُوا: فَنَقُولُ: شَاعِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشِّعْرِ، قَالُوا: فَنَقُولُ: سَاحِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحَّارَ وَسِحْرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ ، قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَذِقٌ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجُنَاةٌ» [1].

ومثله قول أنيس أخي أبي ذر ﷺ- وكان من أشعر العرب- كما جاء في صحيح مسلم: «لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم. ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر. والله! إنه لصادق، وإنهم لكاذبون» [2].

---

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق السقا، 1/ 270.

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي ذر ﷺ، 4/ 1920.

لكنه عاد بعد ذلك إلى غفوة ضميره وغفلته، فقارب بينه وبين السحر، ليكسب ودَّ قومه في قصة لا تخفى على مهتم.

وإلا فلو كانوا يعنون بهذه التهم حقيقة مراداتها؛ لكان حجة عليهم في عدم استطاعتهم معارضة القرآن مع توفر الدواعي الداعية إليها. لكن الواقع أنَّهم كانوا يعرفون مقام ما يسمعون من كلام رب العالمين، فلم يخاطروا هذه المخاطرة، حيث أيقنوا ضرورةً أنهم لا يستطيعون، فاحترموا قدراتهم واحترموا لغتهم وبيانها، فوقفوا بها عند حدِّها العالي علوًا لا يبلغ بيان القرآن وفصاحته. وقد استطاعوا كما يقول الشيخ أبو زهرة: "أن يجحدوا الحق وقد عرفوه، ولم يستطيعوا أن ينزلوا بمقامهم من الإدراك البياني فيفندوا بيانهم وذوقهم الكلامي، وإن ارتضوا أن يفسدوا عقائدهم، ويكابروا في دينهم، ويكذبوا رسالة ربهم"[1].

وقد بلغ من اعتناء العرب بالكلام وإدراكهم بيانه واحترامهم له أن نقل عنهم مواقف عجيبة نقلها الأدباء والمؤرخون، وقد تكون محل مؤاخذة شرعية أحيانا لكونها قد تتنافى ومقررات شرعية، كهذا الذي عرف عنهم من السجود للشعر المجوَّد؛ لقوة تأثيره. وقد نقل الراغب الأصفهاني في كتابه «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» موقفا عن الفرزدق قال فيه:

مرّ الفرزدق بمؤدّب، وكان ينشد عليه صبيّ قول الشاعر لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنّها ... زبر تجدّ متونَها أقلامُها

فنزل وسجد فقال المعلم: ما هذا؟ فقال: هذه سجدة الأشعار نعرفها كما تعرفون سجدة القرآن[2].

وقد يكون الفرزدق في هذا مقلدا موقف عرب الجاهلية من نفس القصيدة، ذكر الثعالبي رواية تفيد أن "لبيدًا لما أنشد قصيدته هذه في الجاهلية، وبلغ قوله:

---

(1) أبو زهرة، محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص55. وينظر: ورقة الدكتور أحمد سعد الخطيب في لقاء الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، منشور على صفحته الخاصة بمنتدى التوحيد على هذا الرابط: https://tinyurl.com/yc6427dm.

(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 1/ 107، وينظر: الثعالبي، خاص الخاص، ص101.

يعلو طريقةَ متنِها متواترٌ ... في ليلةٍ كَفَرَ النجومَ غمامُها

سجد له شعراء زمانه[1].

ولعله لم ينقل عن أحد في الإسلام أنه فعل ما فعله الفرزدق، وإن نقلت عنهم صور أخرى تدل على تعظيمهم لبليغ الشعر، وإجلالهم له، فقد ذكر الأصفهاني أنه: لما قدم أبو تمّام على الحسن بن رجاء، فأنشده قصيدته فيه حتى انتهى إلى قوله:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

قام –الحسن– قائما، وقال: والله ما سمعتها إلا وأنا قائم، لما تداخله من الأريحية فلما فرغ قال: ما أحسن ما جلوت هذه العروس، فقال أبو تمام: لو أنها من الحور العين لكان قيامك أوفى مهر لها[2].

ومما يدل على أن سجدة الشعر هذه كانت معروفة مشهورة عند العرب في الجاهلية، ما نقله الأدباء والمؤرخون عن الخليفة عبد الملك بن مروان، حين دخل عليه الشاعر ذو الرُّمة، فأنشده قصيدته التي فيها:

ما بال عينيَ[3] منها الماء ينسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِن كُلى مَفرِيَّة سَرِبُ

حتى انتهى إلى قوله:

كَحلاءُ في بَرَجٍ صَفراءُ في نَعَجٍ ... كَأَنَّها فِضَّةٌ قَد مَسَّها ذَهَبُ

---

(1) الثعالبي، أبو منصور، لباب الآداب، 131.

(2) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" (لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ)، 1/ 107.

(3) أصل البيت: ما بال عينك. لكنه عدل عن الخطاب على التكلم لما واجه به الخليفة. وقيل: إنه فعل هذا لما واجه الخليفة بالخطاب أولا وكانت عينا الخليفة تسكبان دموعا، فخشي أن يفهم الخليفة أنه يعرض به فعدل عن الخطاب إلى التكلم. وقيل: إنه فعل ذلك بعد أن غضب الخليفة بالفعل فنصحه الناصحون بالعدول. ينظر:أبو عبيد الله المرزباني، أبو عبيد الله المرزباني، "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء"، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين(لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ- 1995) ص 279.

فأجازه الخليفة وأكرمه وقال له: "لو أنها قيلت في الجاهلية لسجدت لها العرب."[1]

والكلام هنا عن سجدة الشعر عند العرب ليس من باب الاحتفاء بها من حيث هي، ولكننا ندلل بها على قيمة البيان عند العرب، وأنه قد بلغ منهم مبلغَ آلهتهم من الأوثان، وحاز رتبتها، ونخص هنا الشعر الذي حاز منهم كل اهتمام «هذا الشعرُ الذي كان حين أنزل الله القرآن على نبيه ﷺ نوراً يضيء ظلمات الجاهلية، ويعكف أهله لبيانه عكوف الوثني للصنم، ويسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط، فقد كانوا عبَدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان»[2] ويبعد أن يكون قوم بهذه المكانة من الإدراك يتيهون عن الفرق بين الشعر والقرآن، ولا بين الرسول والشاعر، مع جحدهم لرسالته وإنكارهم لنبوته.

المطلب الرابع

نسبة الشعر إلى القرآن الكريم في ميزان النقد

مضى القول بأن العرب كانوا يعرفون الفرق بين الشعر والقرآن، وكذا الفرق بينه وبين السحر والكهانة، وأنه لا يمكن أن يلتبس عليهم شيء من هذا بالقرآن، وعللنا هنالك صدور هذه الأوصاف عنهم، بما تراءى لنا من قراءتنا لواقع العرب وخبرتهم بكل من هذه الأوصاف. ومع هذا فقد شُغِل بعض الناس بما أورده البلاغيون وعلماء التفسير وغيرهم، من بعض جمل في القرآن الكريم موزونة على بعض بحور الشعر، علما بأنها جمل قصيرة جدا لا يتكون من كل واحدة منها إلا شطر بيت أو أقل، وهذا في العادة لا يعده الشعراء شعرا، لأنه يمكن أن يتفق لأي كلام من أي متكلم شيءٌ من هذا عن غير قصد.

وكانت غاية العلماء من رصدها وذكرها، هو الرد على ما أثاره المشغبون حولها حينما زعموا التناقض بين وجودها ونفي القرآن عن النبي ﷺ العلم بالشعر. ومن غايات

---

(1) الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط ، "غرر الخصائص الواضحة" ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين (لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م) ص146.

(2) من كلام عُقاب العربية الشيخ محمود شاكر أبو فهر في تقديمه لكتاب: «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، ص48 وقد لقبه بعقاب العربية الأكاديمي الأديب الشاعر أبو همام الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم.

ذكرها أيضا إبراز التناغم الصوتي والانسجام الأدائي في تراكيب القرآن، بما لا يخرجه عن حدود كونه قرآنا مفارقا للشعر الذي عرفته العرب شكلا ومضمونا، وهو ما تعتني به الدراسات الحديثة الآن تحت عنوان الإعجاز الصوتي في القرآن، فقد عدوه وجها من وجوه إعجازه وهو كذلك. لكنّ المتربصين أصحاب العيون غير المبصرة ظنوا أن ذلك يمثل سببا للطعن في القرآن، فحرصوا لذلك أن يجعلوا بينه وبين الشعر نسبا وصهرا، واستغلوا مغرضين هذا الباب ليلجوا منه إلى دار القرآن ولوج اللص البيوت العامرة، ليخرج منها بما يخف حمله ويغلو ثمنه، ليفاجأ بأن هذا البيت محكم جدا بحيث لا يستطيع أن يصل إلى غرضه منه ولا إلى ما هو أقل من غرضه.

أمثلة ونماذج لجمل قرآنية موزونة:

أورد السكاكي عددا من هذه الأمثلة على أنها من موارد الطاعنين في القرآن المتهمين إياه بالتناقض فقال:

«ومنها-أي ومن طعونهم- أنهم يقولون: إن في قرآنكم ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: 69] وأنه يستدعي أن لا يكون فيما علمه شعر، ثم إن في القرآن من جميع البحور شعرا:

فيه من بحر الطويل من صحيحه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] وزنه: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.

ومن بحر المديد: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[هود: 37] وزنه فاعلاتن فعلن فعلن.

ومن بحر البسيط: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: 44] وزنه مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن .....»[1].

ثم علَّق السكاكي على ما نقله عن الطاعنين مشككا في معرفتهم بحقيقة الشعر، وكذا بأوزان بحور العروض، قائلا:

(1) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي "مفتاح العلوم" (لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ص599

«ومن قبل أن ننظر هل راعوا أحكام علم العروض في الأعاريض والضروب التي سبق ذكرها أم لا؟ ومن قبل أن ننظر هل عملوا بالمنصور من المذهبين في معنى الشعر على ما سبق أم لا؟

يا سبحان الله قدروا جميع ذلك أشعارا، أليس يصح بحكم التغليب أن لا يلتفت على ما أوردتموه لقلّته، ويجري لذلك القرآن مجرى الخالي عن الشعر، فيقال بناء على مقتضى البلاغة ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ وعلى هذا المحمل كيف يلزم شيء مما ذكرتم؟»[1]

وعند الكلام عن الانسجام[2] وهو نوع من أنواع البديع نقل السيوطي عددا من أمثلة الجمل الموزونة في القرآن الكريم؛ على أنَّ وزن الشعر فيها مسبب عن انسجامها وخلوها من التعقيد.

فذكر «مِنَ الْوَافِرِ: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]

وَمِنَ الْكَامِلِ: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213]

وَمِنَ الْهَزَجِ: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 93]

وَمِنَ الرَّجَزِ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[الإنسان: 14]

وَمِنَ الرَّمَلِ: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: 13]

وَمِنَ السَّرِيعِ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: 259]"[3].

وهذه الدعوى قد ذكرها الباقلاني في سفره النفيس "إعجاز القرآن" وأجاب عنها بما يشفي فقال:

---

(1) المرجع السابق ، ص 599 وما بعدها.

(2) و«هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كَتَحَدُّرِ الْمَاءِ الْمُنْسَجِمِ وَيَكَادُ لِسُهُولَةِ تَرْكِيبِهِ وَعُذُوبَةِ أَلفاظه أن يسيل رِقَّةً. وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ كَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ الْبَدِيعِ: وَإِذَا قَوِيَ الِانْسِجَامُ فِي النَّثْرِ جَاءَتْ قِرَاءَتُهُ مَوْزُونَةً بِلَا قَصْدٍ لِقُوَّةِ انْسِجَامِهِ». السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 3/ 296.

(3) السيوطي، الإتقان، 3/ 297.

«فإن زَعَمَ زاعمٌ أنه قد وجد في القرآن شعراً كثيراً، فمن ذلك ما يزعمون أنه بيت تام أو أبيات تامة، ومنه ما يزعمون أنه مصراع، كقول القائل: قد قلت لما حاولوا سلوتي ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 36].

ومما يزعمون أنه بيت؛ قوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: 13] قالوا: هو من الرمل...[1].

وحاصل كلامه في الجواب:

أولا: أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يعتقدونه شعراً، ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم – لبادروا إلى معارضته، لأن الشعر مسخر لهم مسهل عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب، والاقتدار اللطيف.

فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك، ولا عولوا عليه، عُلم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً مما يقدرون عليه، إذن فقد علموا أنه ليس شعرا لأن الشعر مما يقدرون عليه.

ثانيا– إن استدراك من يجيء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم، وزعمه أنه قد ظفر بشعر في القرآن، وهم لم يظفروا به وأنه قد خفي عليهم مع شدة حاجتهم إلى الطعن في القرآن والغض منه أمر بعيد التصديق.

ثالثا– إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا، وأقل الشعر بيتان فصاعدا.

وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام. وقالوا أيضاً: إن ما كان على وزن بيتين، إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما – فليس بشعر، ثم منهم من قال: إن الرجز ليس بشعر أصلاً، لا سيما إذا كان مشطوراً أو منهوكا...وعلى هذا يسقط السؤال. ومن اعتبر الرجز شعرا شرط أن أقله أربعة أبيات، بعد أن تتفق قوافيها، ولم يتفق ذلك في القرآن بحال، فأما ما دون ذلك فليس بشعر، وأيضا فإن ما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي، ويقولون: إنه متى اختلف الروي خرج عن أن يكون شعرا[2].

---

(1) الباقلاني، إعجاز القرآن ص51.

(2) المرجع نفسه من ص 51 إلى ص ،55 بتصرف.

رابعا- وأخيرا نقول: لو كان القرآن شعرا وكان النبي ﷺ شاعرا، فلماذا آمن به الشعراء في عصره وبعد عصره، فهل خفي عليهم أمره وهم الشعراء؟ فقد كان حسان بن ثابت -رضي الله عنه- شاعرا مبرزا في الجاهلية، فآمن وحوَّل أغراض شعره لتكون في نصرته ﷺ ونصرة الإسلام والقرآن، فهل كان سيفعل هذا معه لو كان شاعرا، أو كان القرآن شعرا؟

ويضاف إلى ذلك حرص القرآن الشديد على النص على المفارقة بينه وبين الشعر وعدم الاشتراك معه حتى في مصطلحاته كما قال الجاحظ: «سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية».[1] .

المطلب الخامس

شعر أمية بن أبي الصلت[2] والقرآن

وحتى ننهي الكلام عن العلاقة بين القرآن والشعر، كان لزاما علينا أن نتعرض لفرية القول بأن القرآن الكريم قد تأثر بشعر أمية، وهي فرية استشراقية تبشيرية، لاكتها ألسنة المستشرقين، وروَّجت لها أفواه المغرضين في بلداننا. وكان الدكتور طه حسين قد نقلها في كتابه "الأدب الجاهلي" عن المستشرق الفرنسي "كليمان هوار" حيث زعم الأستاذ كليمان

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1/ 178

(2) عن أمية بن أبي الصلت تذكر المراجع أنه كان متحنفا وشاعرا في الوقت نفسه، وله أشعار تحوي قيما شرعية وحديثا عن خلق السموات والأرض وعن اليوم الآخر والثواب والعقاب مرجعها إلى حنيفيته، ومع ذلك لم يؤمن بالنبي ﷺ ، حتى قال النبي عنه: «كَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يسلم» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر 4/ 1768. وورد أيضا بإسناد ضعيف قول النبي ﷺ: « آمن شعر أمية وكفر قلبه» قال المتقي الهندي في كنز العمال3 / 577: -أخرجه- أبو بكر الأنباري في المصاحف وابن عساكر عن ابن عباس. وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير 4/ 15: -هو- ضعيف. وكان أمية طامعا في النبوة، ولذا ناصب النبي ﷺ العداء حسدا وحقدا؛ لأنه في نظره حظي بالنبوة التي كان هو بها جديرا، وبعد غزوة بدر رثى قتلى المشركين وعاب النبي ﷺ والمسلمين، ومع هذا كان يسمع شعره الجيد ويعجب به.

هوار ... أنه استكشف مصدرًا جديدًا من مصادر القرآن، هو شعر أمية بن أبي الصلت.[1] وقارن بين هذا الشعر وبين آيات القرآن وانتهى إلى نتيجتين:

الأولى– أن هذا الشعر الذي ينسب لأمية بن أبي الصلت صحيح، فيجب في رأي الأستاذ هوار أن يكون النبي قد استعان به قليلًا أو كثيرًا في نظم القرآن.

الثانية– إنَّ صحة هذا الشعر واستعانة النبي به في نظم القرآن قد حملتا المسلمين على محاربة شعر أمية بن أبي الصلت ومحوه ليستأثر القرآن بالجدة، وليصح أنَّ النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء، وعلى هذا النحو استطاع الأستاذ هوار أو خُيِّل إليه أنه استطاع أن يثبت أنَّ هناك شعرًا جاهليًّا صحيحًا، وأنَّ هذا الشعر الجاهلي قد كان له أثر في القرآن.[2]

وهذه النتيجة الثانية هي أيضا مجرد فرية وادِّعاء كاذب، فلم يثبت أن النبي ﷺ قد نهى عن سماع شعر أمية ابن أبي الصلت بل الثابت خلاف هذا، فقد أخرج مسلم بسنده «عن عمر بن الشريد، عن أبيه. قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما. فقال "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا؟ " قلت: نعم، قال "هيه" فأنشدته بيتا، فقال "هيه" ثم أنشدته بيتا، فقال "هيه" حتى أنشدته مائة بيت»[3] «ولم يرد أثر في النهي عن رواية شعره إلا ما يوجد في مثل كتاب "الأغاني" من أنه ﷺ نهى عن رواية القصيدة التي رثى بها أمية قتلى قريش في وقعة بدر، ولو صحّ هذا الأثر، لكان النهي مقصوراً على هذه القصيدة، أو يأخذ معها ما فيه هجاء النبي ﷺ وأصحابه».[4]

---

(1) قال الدكتور شوقي ضيف: «وقد ذهب هيار يزعم حين اطلع على هذا القسم –أي الذي وافق فيه القرآن– من شعر أمية أنه اكتشف فيه مصدرا من مصادر القرآن الكريم، ولو كان له علم بالعربية وأساليب الجاهليين لعرف أنه وقع على أشعار منتحلة بيّنة الانتحال، ولما تورط في هذا الخطأ البيّن، وقد رد عليه غير واحد من المستشرقين». شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي" (مصر: دار المعارف) ، 1/ 396.

(2)حسين، طه، في الأدب الجاهلي (مصر: دار المعارف، الطبعة الرابعة) ص 158.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2255) 4/ 1767.

(4) حسين، محمد الخضر، الإمام محمد الخضر حسين "موسوعة الأعمال الكاملة" جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني (سوريا: الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، 2010م) 8/ 270.

ثم راح يدفع هذه الفرية بدفعٍ هو نفسُه فرية؛ حيث زعم طه حسين أن شعر أمية منحول من قبل المسلمين ليثبتوا- كما قدمنا- أنَّ للإسلام قدمة وسابقة في البلاد العربية"[1] ومعروفٌ أن طه حسين في رأيه هذا وفي غيره مما كتبه عن الشعر الجاهلي، كان صدى صوت للمستشرق الفرنسي مرجليوث[2].

ومسألة الانتحال في شعر أمية تبناها عدد من المستشرقين منهم المستشرق شولتس وغيره[3] ونحن لا نوثّق القول به كما أننا لا ننفيه، بل نقدِّر كونه احتمالا قائما، وإن كان ثمَّت من اعترض عليه فهو على بعض توجيهات هذا الاحتمال وتعليلاته، كالذي وقع من الدكتور طه حسين.

ثم نعود إلى دعوى أن القرآن مقتبس من شعر أمية بن أبي الصلت وهي دعوى فارغة لما يأتي:

1- أين كانت العرب من هذا الانتحال القرآني لشعر أمية؟ ولماذا لم يحاجُّوا الرسول بهذا عندما تحدَّهم به؟ بل الأنكى من هذا كله: لماذا لم يعترض أمية نفسه على انتحال شعره واقتباسه من قبل القرآن؟ " فلا أمية ولا أي واحد من أبنائه أو أقاربه أو قبيلته أو حتى من العرب، بل ولا من النصارى واليهود الذين عاصروا النبي ﷺ أو جاؤوا بعده بقليل، قد أثار هذا الأمر على أي وضع....."[4].

2- على القائلين بدعوى أن القرآن الكريم قد اقتبس شعر أمية ابن أبي الصلت، أن يجيبونا عن دعوانا أيضا بأن يكون أمية هو الذي اقتبس من القرآن، وليس العكس؛ فأمية كان معاصرا للرسول ﷺ، وعايش نزول القرآن الكريم وقد سمعه كما سمعته سائر

---

(1) حسين، طه ، في الأدب الجاهلي ص 161

(2) ومن الآثار السيئة لما تردد في كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين أنه فتح الباب لغيره ليقول أكثر مما قال هو. ينظر مثلا ما كتبه كاتب مسيحي تحت عنوان "الشك في الشعر الجاهلي" في مجلة لغة العرب العراقية 6/ 564 وما بعدها؛ حيث إنه لم يتهم المسلمين فقط بانتحال الشعر الجاهلي، بل اتسع خياله لينسب إليهم انتحال "إنجيل برنابا".

(3) ينظر، بهجة عبد الغفور الحديثي، "أمية بن أبي الصلت حياته وشعره" (الإمارات: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "المجمع الثقافي"، الطبعة الأولى 1430 – 2009) ص 120

(4) عوض، إبراهيم ، القرآن وأمية ابن أبي الصلت أيهما أخذ من الآخر؟ بحث على شبكة الإنترنت.

العرب، وكانت وفاته قريبة من وفاة الرسول؛ وذلك أنه قد توفي في السنة التاسعة من الهجرة على ما ذكر المؤرخون كابن حجر العسقلاني[1].

3- ومما يرد به على أصحاب هذا الزعم، أن شعر أمية بن أبي الصلت هذا الذي نتحدث عنه لا يخلو حاله إما أن يكون قد قاله قبل بعثة النبي أي قبل أن يتنزل القرآن عليه، وإما أن يكون بعد ذلك. فإن كان قبلها، فلابد من أن يكون شعره هذا قد انتشر انتشارا ظاهرا، وعندئذٍ كان ينبغي على العرب الذين لم يستجيبوا للقرآن وللدعوة أن يذيعوا فقط شعر أمية ليثبتوا للنبي أنه قد اقتبس شعره وادَّعى أنه قرآن أوحي به إليه.

وإن كان قد قاله بعد البعثة أي بعد نزول القرآن، فلا يشك أبدا أنه قد اقتبسه من القرآن. ولا ثالث لهذين التخريجين اللهم إلا أن يكون هذا الاحتمال الآتي وهو كون أمية لم يقل هذا أصلا وإنما ادُّعي عليه ادِّعاء، ونُسب إليه انتسابًا، وهو منه براءٌ.

4- تأتي مسألة احتمال أن يكون هذا الشعر منسوبًا إلى أمية زيفا وليس حقا، كوجه أيضا من وجوه الرد على هذه الفرية التي نحن بصدد دفعها، لكن لا على طريقة طه حسين في زعمه أن المسلمين هم الذين انتحلوه ونسبوه إلى أمية، ولكن الأقرب إلى حكم العقل أن يكون هذا قد وقع من المغرضين الذين يتربصون بالقرآن ويكيدون له، ليصلوا إلى غرضهم من الطعن في القرآن.

ونحن إذ نسوق هذا احتمالا كما سبق القول بهذا، فإننا نعي تماما أننا لا نملك دليلا يوثق هذا الاحتمال ويرقيه إلى درجة اليقين، أو حتى إلى درجة الظن الراجح القريب من اليقين، كما أننا لا نملك حجة لرفضه، خصوصا مع تبني كثير من النقاد مستشرقين وعرب هذه الفكرة، ليبقى على كل حال مجرد احتمال يتأرجح بين القوة والضعف.

ومما يرجح النقاد كونه منتحلا —على وجه الخصوص- ما يوافق منه القرآن الكريم وما فيه مما لا يعرف إلا بوحي، فلا يشك عاقل منصف في كونها مستوحاة من القرآن

(1) ينظر، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني "الإصابة في تمييز الصحابة" تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – (بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ) 1/ 250.

ومأخوذة منه. ومما يدل على انتحال هذا النوع من شعره، كونه ضعيف النسج خاليا من سمت الشعر الجاهلي المنعوت بالبلاغة والرصانة.

ومن الأبيات التي نسبت إليه وتحوي هذه السمات الدالة على ما ذكرنا قوله:

إله العالمين وكل أرض ... وربّ الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا ... بلا عمد يرين ولا رحال
وسوّاهـا وزيّنها بنـور ... من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ فى دجاها ... مراميها أشدّ من النّصال
وشقّ الأرض فانبجست عيونا ... وأنهارا من العذب الزّلال
وكلّ معمّـــر لا بدّ يومـــا ... وذى دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدّته ويبلى ... سوى الباقى المقدّس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة ... إلى ذات المقامع والنّكال
فنادوا ويلنا ويلا طويلا ... وعجّوا فى سلاسلها الطّوال[1].

وبعد أن نقل الدكتور شوقي ضيف هذه الأبيات التي تحدثت عن خلق السموات والأرض ونشأة الكون مستدلا بذلك على وجود الله، ومتحدثا عن الموت والفناء والبعث والنشور والعذاب والثواب، علَّق عليها قائلا:

«وهذه المعانى تستمد من القرآن الكريم بصورة واضحة، وأسلوبها ضعيف واهن، ولذلك كنا نظن ظنّا أنها وما يماثلها مما نحل على أمية»[2].

ثم قال: «والموضوع الثاني الذى يدور فيه شعره ... والاتهام فيه أوضح، إذ نراه يقص علينا سير الأنبياء قصصا لا يكاد يفترق في شيء عما جاء في القرآن الكريم، كقوله في رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه إسماعيل وما كان من افتدائه بذبح عظيم:

ولإبراهيم الموفّى بالنّذ ... ر احتسابا وحامل الأجزال

(1) ديوان أمية ابن أبي الصلت ص 49. جمعه ووقف على طبعه الشاعر اللبناني بشير يموت، المكتبة الأهلية، الطبعة الأولى، سنة 1934

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي 1/ 396

بكره لم يكن ليصبر عنه ... أو يراه فى معشر أقتال
يا بنيّ إنّني نذرتك لله ... شحيطا فاصبر فدى لك حالي
فأجاب الغلام: أن قال فوه ... كلّ شيء لله غير انتحال
فاقض ما قد نذرت لله واكفف ... عن دمي أن يمسّه سربالي
بينما يخلع السّرابيل عنه ... فكّه ربّه بكبش جلال
قال: خذه وأرسل ابنك إنّي ... للذي إن فعلتما غير قال[1].

ثم يعقِّب شوقي ضيف معلقًا على هذه الأبيات، فيقول: «وواضح أن هذا شعر ركيك، ساقط الأسلوب، نظمه بعض القصاص والوعاظ في عصور متأخرة عن الجاهلية.»[2].

ويبدو أن مسألة انتحال الشعر الجاهلي هذه لم تقف عند حد شاعر واحد كأمية بن أبي الصلت، كما يبدو أن الاختيار الديني كان له أثره في هذا، وخصوصا من قبل المغرضين للقرآن الكريم، كما لحظنا في شعر أمية، وقد نقف على هذا الحكم في كلام واحد من النقاد والمؤرخين للأدب هو الدكتور "شوقي ضيف" إذ يقول بعد أن أمضى رحلة مع الانتحال في الشعر: «وواضح مما قدمناه أن ما روي من أشعار على ألسنة اليهود ومن تنصّر من العرب في الجاهلية وكذلك من تحنّف كأمية دخله وضع كثير؛ ولذلك ينبغي أن نحترس منه وألّا نتسع في الحكم عن طريقه على ديانات القوم ومعتقداتهم، إذ يجري فيه الانتحال، وقد دخله كثير من الغثاء والإسفاف في اللفظ والتعبير.»[3].

والخلاصة، أن ما ينسب إلى أمية في هذا لا يخلو من اتهامين مجتمعين أو منفردين:

الأول– أن معانيه وبعض ألفاظه مسروقة من القرآن ومأخوذة منه من قبل أمية بن أبي الصلت نفسه.

(1) ديوان أمية ابن أبي الصلت ص 50
(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي ، 1/ 396
(3) المرجع السابق نفسه 1/ 397

والثاني- أن هذا الشعر منحول على أمية في عصور متأخرة عن عصر الجاهلية من قبل المغرضين بقصد التشكيك في القرآن الكريم والتشغيب عليه، وحينئذٍ يبقى الاتهام الأول حاضرا معنا مستبطنا في الاتهام الثاني؛ لأن المنتحل قد أخذ هذه المعاني من القرآن الكريم ومعها بعض الألفاظ الموجودة فيه، ثم نسب شعره هذا المنتحل إلى أمية ابن أبي الصلت.

المطلب السادس

استثمار الشعر العربي كمفتاح لتفسير القرآن الكريم

الشعر هو ديوان العرب الذي حفظ كلامهم ولغتهم، وقد احتج الصحابة وغيرهم به، واستعانوا به على معرفة غريب القرآن، وقد اعترض بعض الناس على هذا الاحتجاج متوهمين أنه يفضي إلى جعل الشعر أصلا للقرآن[1]، وقد أبعدوا النجعة في ذلك؛ لأن دور الشعر هنا هو مجرد الاستعانة به في فهم محتملات اللفظ القرآني لتحديد مراداته؛ لأن القرآن كلام عربي، والشعر هو ما قد عرفت.

وقد بدأت شواهد الشعر في تفسير معاني الكتاب الكريم تحتلّ مكانها المقدّر لها منذ العصر الأوّل، يقول عمر ﷺ: يا أيها الناس، عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم [2]. وكان ابن عبّاس رضي الله عنهما- وهو من هو في التفسير- يستدلّ لتفسيرِه معانيَ القرآن بالشعر؛ حيث أدرك قيمته ودوره في التفسير فأُثِر عنه قولُه: الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقال أيضا: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب[3]. ومما تناقله العلماء من تاريخ ابن عباس في الاستعانة بشعر العرب في تفسير القرآن الكريم، تلك المدونة الأولى في غريب القرآن المعروفة بمسائل نافع ابن الأزرق، وقد نقلها السيوطي بتمامها في الإتقان.

---

(1) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 2/ 67

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 10/ 111

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 2/ 67

ومستهلها كما ذكر السيوطي: «عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال: بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما...»[1].

ثم راحا يسألانه وهو يجيب ويستشهد لكل معنى يسوقه ببيت من شعر العرب.

وهذه بعض الأمثلة منها كما نقلت في كتاب الإتقان: «قال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: 37] قال العزون: الحلق الرقاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] قال: الوسيلة الحاجة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ...إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال: أخبرني عن قوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦ﴾ [الأنعام: 99] قال: نضجه وبلاغه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إذا ما مشت وسط النساء تأودت ... كما اهتز غصن ناعم النبت يانع.

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾ [الأعراف: 26] قال: الريش المال قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فرشني بخير طالما ما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبري »[2].

---

(1) المرجع نفسه 2/ 68

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 2 / 68 ، 69، وقد نالت هذه المسائل اهتمام العلماء قديما وحديثا، فاستند إليها المفسرون في تحديد معاني كلمات القرآن التي تضمنتها، وجردها حديثا باعتناء وتحقيق كل من الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، والدكتور إبراهيم السامرائي.

المطلب السابع

استثمار الشعر العربي بوصفه مدخلا إلى إثبات إعجاز القرآن البلاغي

عندما كتب الدكتور طه حسين كتابه "الشعر الجاهلي" وشكك فيه في صحته وزعم أنه منحول قامت عليه الدنيا ولم تقعد؛ لأن هذا القول فضلا عن كونه لم يملك دليلا عليه، ولم يسلك فيه منهجا علميا يمكن أن يدعم من خلاله رؤيته وما قرره من أحكام، فهو تبنى مبدأ الشك غير المنهجي؛ بل الشك الساذج الذي جره إلى مشكلات مع العلماء والأدباء والأزهر، فانتهى أمره إلى التراجع عما كتب، واستبدل كتابه "الشعر الجاهلي" بكتابه "الأدب الجاهلي" الذي نحاه عما أثاره من مشكلات في كتابه الأول.

أقول: فضلا عن هذا كله، فإن خطورة الطعن في الشعر الجاهلي تكمن في كونها تصطدم بخط الدفاع الأول عن قضية الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؛ باعتبار أن الشعر الجاهلي هو المدخل لإثبات هذا الوجه الأعظم من وجوه الإعجاز.

ولما كانت معجزات الأنبياء روعي في كل معجزة منها مناسبتها للعصر الذي أرسل فيه كل نبي باعتبارات الزمان والمكان والمخاطبين، فقد رتب الله –تعالى– كل معجزة بناء على ذلك، فمعجزة عدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام مناسبة لعصره بالاعتبارات التي ذكرناها، وذلك أنه عليه السلام قد بُعث في قوم كانوا على مقربة من عبدة النار في فارس، فكان في إطفاء الله –تعالى– للنار من غير سبب ظاهر بيان بعجز النار التي تعبد، وأنها لا يمكن أن تكون آلهة أو يكون لها تأثير مطلق، وها هي قد فقدت التأثير مع الخليل عليه السلام.

ونرى كذلك أنَّ معجزات موسى عليه السلام كانت مناسبة لأهل مصر لأن السحر والكهانة كانا فيهم، وقد كان للسحرة مكانة عندهم، حتى إن فرعون قد اعتد بهم كثيرا وعوَّل عليهم في مواجهة موسى عليه السلام، ووعدهم بعطاء جزيل إن هم انتصروا عليه.

وكذلك معجزة عيسى عليه السلام كانت مناسبة لعصره، لانتشار الطب في زمنه، وإن كان للشيخ محمد أبو زهرة تعليل آخر أنكر فيه مسألة شيوع الطب في عصر المسيح عليه السلام ونفى

ذلك مؤكدا أن "علم الطب لم يكن رائجًا بين بني إسرائيل، فلم يكن بينهم علم أبقراط[1]، كما قرر رينان[2] في كتابه "حياة يسوع"، بل إن معجزاته كانت من ذلك النوع لسبب آخر يجب أن نتلمَّسه من غضون التاريخ، ومن حال بني إسرائيل، ذلك أن العصر كان عصرًا ماديًّا يؤمن بالمادة ولا يؤمن بالغيب، بل كان من اليهود من لا يؤمن باليوم الآخر، وإنك لترى أن التوراة التي بأيدينا، وهي ميراثهم من التوراة التي حرفت، تقرر أن نفس الإنسان هي دمه"[3].

ثم ذكر أن معجزات عيسى ﷺ متضمنة الرد والتنبيه في أمرين:

"أولهما: بيان سلطان الروح، فقد ظهرت الروح مسيطرة موجهة مرشدة في أنه كان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وفي أنه ﷺ أحيا الموتى بإذن الله، وأخرجهم من قبورهم بإذن الله، وأنزل عليه مائدة من السماء بإذن الله تعالى.

وثانيهما: أنه كانت معجزاته ﷺ هادمة لارتباط الأسباب العادية بمسبباتها، لقد ولد من غير أب، والأسباب العادية تقرر أنه لا مولود من غير والد، وتكلَّم في المهد صبيًّا، وذلك غير المقرر في الأسباب والمسببات، وأخبر عن بعض المغيب عنه، وذلك غير

---

(1) أبقراط: أشهر علماء الطب باليونان القديم، حتى إنه يلقب بأبي الطب (ولد حوالي سنة 460ق. م- وتوفي حوالي 370 ق. م) وهو صاحب القسم الشهير في الطب على الإخلاص للمهنة. وكان يقول فيه: "أقسم بِاللَّه رب الْحَيَاة وَالْمَوْت وواهب الصِّحَّة وخالق الشِّفَاء وَكل علاج، وَأقسم بأسقلبيوس –هو بطل وإله الطب في الأساطير اليونانية القديمة– وَأقسِم بأولياء الله من الرِّجَال وَالنِّسَاء جَمِيعًا وأشهدهم جَمِيعًا على أَنِّي أَفِي بِهَذِهِ الْيَمين وَهَذَا الشَّرْط" وحتى اليوم تتمثل كليات الطب في العالم القسم على شرف المهنة اقتداءً بأبقراط، وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة في كتابه: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء". ينظر: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت ص 44 وما بعدها.

(2) أرنست رينان (1892 – 1823) مؤرخ وكاتب وأديب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع المسيح ﷺ وتأريخه له، وقد دعا في كتبه عن المسيح ﷺ إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا، وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس، ما أدّى إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية بمعارضته. كانت له مساجلات حول الإسلام مع السيد جمال الدين الأفغاني. ينظر في ترجمته: موسوعة المستشرقين، بدوي، عبد الرحمن بدوي، "موسوعة المستشرقين" (لبنان: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة 1993) ، ص311 وما بعدها.

(3) أبو زهرة، محمد، "المعجزة الكبرى القرآن"، (مصر: دار الفكر العربي، مصر سنة 2008)، ص 10.

الأسباب العادية التي توجب المعاينة في صدق الأخبار، وأحيا الموتى بإذن الله، وذلك ما لا يتحقق في الأسباب العادية."[1]

معجزة النبي ﷺ هي القرآن:

إن معجزة نبينا محمد ﷺ الكبرى القرآن بلا ريب؛ وهو المعجزة التي وقع بها التحدّي وقد قال ﷺ في هذا:«مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]

وقد يستغرب بعض الناس كون القرآن الكريم قائما في هذا مقام المعجزات الحسية التي وقعت لغيره ﷺ من إخوانه الأنبياء والمرسلين، فكيف للقرآن وهو كلام أن يقوم بذلك، فيتحدّى به قومه العرب أولًا، وكل الناس ثانيا؟

أقول: إن من يدرس تاريخ العرب يعرف أنهم كانوا قوما مجردين من الهوايات والفنون، بحيث لم يكن لديهم ما كان عند غيرهم من الأمم من اعتناء بالرسم ولا بالموسيقى ولا بالنحت ولا بغير ذلك مما يستنفذ فيها الناس طاقاتهم. لم يكن لديهم شيء من هذا؛ ولذا فإنهم لم يجدوا أمامهم إلا أحد سبيلين فرضتهما عليهم ظروف الحياة البدوية لضمانة مكتسبات العيش والأمن: الحرب بالسيف، والتباري بالكلمة.

أما الحروب فالأخبار في حكايتها متواترة تحكي كيف أنهم كانوا يقيمونها لأسباب لا يقبلها عقل.

وأما الكلمة فكانت كلَّ حياتهم، فقد فرَّغوا طاقاتهم الكامنة فيها فأجادوها نظما ونثرا، بل بلغوا في إجادتها حدًّا لا يبارى حتى أصبحت عندهم معيار التفاخر، بل أصبحت السلاح الذي يشهرونه في وجه خصومهم دفاعًا عن أنفسهم، ونوالا من أعدائهم. وليس هذا فقط، فأصبحت الكلمة موسيقاهم التي ينغمونها، ومرسمهم الذي يرسمون فيه أجمل لوحاتهم ويصورون كل تخيلاتهم، ولذا لا نبالغ إن قلنا: كانت الكلمة عند العرب هي الحياة بكل ألوانها وأطيافها.

---

(1) المرجع نفسه.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، 6/ 182.

يقول عبد الكريم الخطيب: "ونستطيع أن نؤكد أن العرب وحدهم من بين سائر الأمم، هم الذين استطاعوا أن يصوغوا الحياة كلها في تلك الكلمات التي أصبحت لغة مكتملة البناء ..ونستطيع أن نؤكد أن العرب وحدهم، قد استطاعوا أن يُحَمِّلوا لغتهم كل ما تحمل الفنون الجميلة من ملهمات وأسرار:

فالموسيقى بألوانها، وأنغامها، ومقاماتها قد حواها الشعر العربي في تفاعيله وبحوره وقوافيه. والتصوير قد تكفل به البيان العربي في براعة ودقة، تجعل من الصورة الكلامية صورة أوضح وأجمل من أي صورة أبدعتها يد فنان صناع، وضع ألوانها وظلالها بيد عبقري حكيم. والنحت قد ضمنته البلاغة العربية، فأقامت من الكلمات شخوصا ماثلة بكل مشخصاتها وأصباغها وألوانها. والتمثيل له في الكلمة مكانه ومقامه، فلقد كانت البلاغة العربية والبيان العربي مسرحا حيا قامت فيه الكلمات والعبارات مقام الشخوص، تحاور وتجادل تغدو وتروح، فإذا أنت منه بمشهد من مشاهد التمثيل لأعظم الروايات وعلى أعظم المسارح..."[1].

الشعر الجاهلي مدخل لإثبات الإعجاز البلاغي للقرآن: إن الشعر الجاهلي بلا ريب هو أعلى مراتب الشعر التي عرفتها العربية، ولقد بلغ هذا الشعر أوجه في العلو قبيل نزول القرآن، فظهرت المعلقات، وأقيمت أسواق الشعر، وكأن الله تعالى يمهد لهذا القرآن ويهيئ له المناخ الذي يدل على أسباب تفوقه في البيان والفصاحة على كل ما يأتي به البشر من كلام؛ لأن المعجزات النوعية التي قد لا يستطيع عامة الناس إدراكها، لا يعرفها إلا أهل العلم والفطنة والخبرة الذين يستطيعون التفريق بينها وبين غيرها من أفعال البشر. فمثلا لما أيد الله عز وجل موسى عليه السلام بمعجزة العصا التي استحالت حية تسعى، فالتهمت سحر السحرة يوم النزال معهم بأمر فرعون، حيث ألقوا حبالهم وعصيهم فرآه الناس حيات وثعابين، فألقى موسى عليه السلام عصاه لتبتلع كل ما تعبوا في صنعه من سحر، وبِسِرّ لا يعرف

(1) الخطيب، عبد الكريم، "الإعجاز في دراسات السابقين" (مصر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1974) ص 112، 113.

السحر إليه طريقا، لأن عصا موسى عليه السلام لم تكن من جنس سحرهم؛ بل كانت معجزة ربانية.

وفي هذا يقول رب العزة: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: 65-73].

والسؤال هنا: من الذي أدرك كون ما فعله موسى عليه السلام بعصاه معجزة وليس سحرا؟ إنهم السحرة أنفسهم، ولذا آمنوا من فورهم، ولم يأبهوا لفرعون وتهديده.

والسؤال الآخر: ماذا لو أن موسى عليه السلام كان قد ألقى عصاه في غير وجود السحرة فاستحالت حية، ما الذي يمكن أن يقوله المشاهدون؟ سيقولون: هو سحر؛ ومن ثم فإن فرعون قال للسحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام كما حكى القرآن: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ﴾ [طه: 71].

والآن قد بلغنا محل القصد؛ وهو أن الذين استطاعوا أن يدركوا البيان القرآني المعجز هم العرب البلغاء الفصحاء الذين عاصروا نزول القرآن، وإنني لأؤكد على عبارة إدراك البيان المعجز؛ لأن إدراك هذا القدر المتناهي من البيان لا يكون لكل إنسان يتكلم لغة العرب، حتى لو حصل فيها على درجات علمية، نعم يستطيع هذا أن يدرك علو البيان؛ أما إدراك الإعجاز، فهذا لا يكون إلا للمطبوعين من العرب، أو الذين بلغوا رتبتهم من أهل الاكتساب؛ فهؤلاء فقط هم الذين يدركون الإعجاز ضرورةً، أما غيرهم فإدراكه استدلالي اكتسابي.

وأستند في هذا التقرير إلى مقالة الباقلاني التي قال فيها:

"إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً، وكذلك من لم يكن بليغا، فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة – فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه، كما أنه إذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك، فهو يعلم عجز غيره استدلالا"[1].

وكلام الباقلاني هذا معناه أن إعجاز القرآن –أي من جهة البلاغة– إنما يدركه البليغ ضرورة، وهو يعني بالبليغ المطبوع وهو العربي القح كالعرب المعاصرين لنزول القرآن قبل أن يحتكُّوا بغيرهم وينتج عن ذلك المولَّدون، ويلحق بالبليغ المطبوع البليغُ المصنوعُ، وهو الذي لحق العرب البلغاء بالتعليم والدربة، وأما غير هؤلاء فإنما يدركون هذا الوجه استدلالا، وطريق الاستدلال هنا هو عجز البلغاء الأقحاح ومن لحق بمستواهم.

والآن وقد عرفنا قيمة الشعر الجاهلي كمدخل لإثبات الإعجاز البلاغي للقرآن؛ لأنه هو الذي يستند إليه في الكشف عن معانيه، كما أنه الطريق والدليل على ذلك الإعجاز؛ بأن يقال في طريقة الاستدلال: إذا كان العرب الأوئل أرباب البيان والفصاحة وملوك الشعر والنثر قد عجزوا؛ فإن غيرهم ممن هم دونهم أعجز.

وفي هذا يقول ابن عاشور:«فإن قلت: ثبت بهذا أن القرآن معجز للعرب؛ وبذلك ثبت لديهم أنه معجزة وثبت لديهم به صدق الرسول؛ ولكن لم يثبت ذلك لمن ليس مثلهم فما هي المعجزة لغيرهم؟

قلت: إن ثبوت الإعجاز لا يستلزم مساواة الناس في طريق الثبوت؛ فإنه إذا أعجز العرب ثبت أنه خارق للعادة ...؛ فيكون الإعجاز للعرب بالبداهة، ولمن جاء بعدهم بالاستدلال والبرهان، وهما طريقان لحصول العلم.

وبعد؛ فإن من شاء أن يدرك الإعجاز كما أدركه العرب، فما عليه إلا أن يشتغل بتعلم اللغة وأدبها وخصائصها؛ حتى يساوي أو يقارب العرب في ذوق لغتهم، ثم ينظر بعد

(1) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص259.

ذلك في نسبة القرآن من كلام بلغائهم، ولم يخل عصر من فئة اضطلعت بفهم البلاغة العربية، وأدركت إعجاز القرآن، وهم علماء البلاغة وأدب العربية الصحيح»[1].

مأخذ على الباقلاني في منهج تعامله مع الشعر الجاهلي باعتباره مدخلا لإثبات الإعجاز:

ألف الباقلاني كتابه "إعجاز القرآن" تقريرا وردا على من تشككوا فيه من الملحدين وغيرهم، وقياما بواجبٍ قد رأى هو أن علماء الأمة قد قصروا تجاهه، وقد أثاره، وأوقد نارا في صدره؛ قول بعض الناس: إن الشعر الجاهلي يوازي القرآن، بل فضله بعضهم عليه[2]. فشحذ همته وانبرى لمعالجته وهو محمَّل بهمّ هذه الفرية التي افتراها من لم يستطيعوا التفريق بين الكلام الإلهي المتعالي، وكلام البشر؛ رغم أن العرب المعاصرين للقرآن وهم أصحاب ذلك الشعر لم يدعوا هذا؛ وبدليل أنهم لم يقبلوا التحدي عندما طلب منهم القرآن قبول النزال كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23-24].

وقد آل الأمر بالباقلاني أن يقطع شوطا كبيرا في كتابه يوازن فيه بين القرآن وكلام البشر؛ بما فيه الكلام النبوي، والخطب البليغة للصحابة ولبلغاء العرب كالحجاج، وأيضا الشعر الجاهلي بما فيه من عظيم القصائد، وأبرزها قصيدة امرئ القيس: "قفا نبك" وكان منهاجه في هذا إبراز ما في هذا الشعر من عوار؛ وبالأخص عندما يوازنه بالقرآن.

وقد تعقب الشيخ محمود شاكر موقف الباقلاني هذا، ورأى أنه قد أصاب في وجه وأخطأ في وجه، أصاب حين أظهر بلاغة القرآن المعجزة وتفوقه على كلام أفصح ما نطقت به العرب، لكنه أخطأ عندما بالغ في نقد الشعر الجاهلي، متجاهلا غاية مهمة، وهي أن هذا الشعر القوي هو نفسه المدخل لإثبات الإعجاز.

---

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر، "تفسير التحرير والتنوير" (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ)، 1/ 349

(2) ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 4، 5

يقول الشيخ شاكر:«فهذه الموازنة –يعني موازنة الملاحدة بين القرآن والشعر– التي هاجت الباقلاني كما ذكر هو، حملته على هتك الستر عن معلقة امرئ القيس؛ ليكشف للناس عيبها وخللها، لا ليستخرج منها خصائص بيانهم، وكيف كانت هذه الخصائص مفارقة لخصائص بيان القرآن، فلما زلّ الباقلاني هذه الزلة وأخطأ الطريق، زلّ به من بعده وأخطأه، وأخذوا الشعر الجاهلي كله هذا المأخذ، ولكن العجب بعد ذلك أن الشعر الجاهلي ظل عند البلغاء، وجمهور الناس هو مثقف الألسنة، والحجة على اللغة، والشاهد على النحو، وما إلى ذلك. ولكنهم إذا جاؤوا لذكر القرآن وإعجازه، اتخذوه هدفاً للنقد وإظهار العيب وتبيين الخلل، بإزاء كلام بريء من كل عيب وخلل؛ فيبقى الأمر أمر موازنة لا عدل فيها. وكان حسبهم من الدليل أن أهل الجاهلية بتركهم معارضة القرآن بشعرهم أو كلامهم، هو إقرارٌ لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم، فلم تكن بالباقلاني حاجة إلى سلوك هذا الطريق الذي سلكه، إلا ما حمله عليه ما نعق به جاهل من جهال الملحدة، من الموازنة بين الكلامين، وتفضيل شعرهم على القرآن»[1].

الخاتمة

نسأل الله تعالى حسنها

وبعد هذا التطواف حول هذا الموضوع الذي عالجت فيه جملةً من المسائل المتصلة بالعلاقة بين القرآن والشعر استنكارا لما أنكره القرآن، وإقرارا لما أقره واستثمارا له في خدمة القرآن، بعد هذا أستطيع أن أسجل عددا من النتائج:

1- وضَّح البحث موقف القرآن الكريم من الشعر وأثبت أنه موقف متوازن، يقبل به ما وافق معايير قبوله، ويرفض ما سوى ذلك، وجدير بالذكر أن معايير قبول الشعر في القرآن هي معايير أخلاقية؛ فلا يقبل القرآن من الشعر إلا ما كان صالحا صادقا هادفا، كما يقرره قوله سبحانه:﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: 224-227].

(1) من تقديم محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية ص46.

2– علَّل البحثُ وصفَ العرب القرآن بالشعر بأنه وصف الصدمة الأولى، لكونهم لا يعرفون من الكلام أجود ولا أعلى من الشعر، ومن ثمَّ فإن هذا الوصف منهم لا يفهم منه إعابة القرآن؛ لأن الشعر لم يكن معيبا عندهم، بل هو عندهم ميدان الفخار، ولم يكن العرب يجهلون الفرق بين القرآن والشعر، وقد اعترف نبغاؤهم بهذه المفارقة.

3– أثبت البحث تهافت قول من زعم أن بين القرآن والشعر نسبا؛ مدعيا بأنه قد تأثر بشعر أمية بن أبي الصلت، وهو زعم خاطئ وفرية تمكَّن البحث من ردها، وأثبت أن أمية هو الذي تأثر بالقرآن واقتبس منه أفكاره وألفاظه.

4– إثبات أهمية الشعر الجاهلي باعتباره طريقا لتفسير القرآن الكريم، واستثماره في هذا، ولا غرو فهو مستودع لغة العرب الأميين، وميدانهم الذي حوى تاريخهم وأحوالهم، وقد اعتنى المفسرون عبر القرون كلها –من القرن الأول حتى القرن الخامس عشر– بالشعر الجاهلي، وأفادوا منه في مجال التفسير، كما تشهد بذلك المؤلفات التفسيرية.

5– الشعر الجاهلي مدخل مهم جدا في إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؛ لأن البلاغة المعجزة لا يثبتها إلا افتراقها مع الشعر البليغ، ولا يدركها حق إدراكها إدراكا ضروريا إلا البلغاء المطبوعون ومن داناهم، وما عدا هذا فإن إثبات الإعجاز البلاغي بالنسبة له يكون استدلالا، والدليل هو عجز البلغاء المطبوعين.

ومن توصياتي في هذا البحث:

ضرورة الاهتمام بالشعر الجاهلي باعتباره أصل الشعر، ولكونه وسيلة لتفسير القرآن، ومدخلا لإدراك أقوى وجوه إعجازه وهو الإعجاز البلاغي.

وعلى هذا، فإنه ينبغي على المؤسسات العلمية في الدراسات القرآنية، الاعتناء بهذا الرافد الأهم اعتناء خاصا، بتنمية قدرات طلاب الدراسات القرآنية، وتزويد مهارتهم للاضطلاع من الشعر الجاهلي، وتدريبهم على كيفية استثماره والاحتجاج به في تفسير القرآن الكريم وإثبات إعجازه، وخصوصا في هذه الأيام التي كثر فيها المجترئون على القرآن الكريم ولغته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قائمة بأهم المراجع والمصادر

إبراهيم عوض، "القرآن وأمية ابن أبي الصلت أيهما أخذ من الآخر؟" بحث على شبكة الإنترنت. (https://vb.tafsir.net).

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

ابن الحجاج، مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (لبنان: دار إحياء التراث العربي بيروت).

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (السعودية: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2001).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر= تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة (لبنان: دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، 1988).

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (لبنان: دار صادر بيروت، 1994).

ابن رشيق، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (لبنان: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

ابن سلّام، محمد بن سلّام بن عبيد الجمحي، "طبقات فحول الشعراء"، تحقيق محمود شاكر،(السعودية: دار المدني بجدة، د.ط).

ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ).

ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي "العقد الفريد" (لبنان: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ).

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي (لبنان: دار الكتب العلمية سنة 1422هـ).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي "مقاييس اللغة" تحقيق عبد السلام محمد هارون (سوريا: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داوود تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (لبنان: دار صادر صيدا بيروت).

أبو زهرة، محمد أبو زهرة، "المعجزة الكبرى القرآن" (مصر: دار الفكر العربي سنة 2008).

الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" (لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ).
الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، "إعجاز القرآن" تحقيق: السيد أحمد صقر (مصر: دار المعارف، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٧م).
البُخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، (لبنان: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ).
بدوي، عبد الرحمن بدوي، "موسوعة المستشرقين" (لبنان: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة 1993).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي "خاص الخاص" تحقيق: حسن الأمين (لبنان: دار مكتبة الحياة، بيروت).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، "زهر الآداب" تحقيق: أحمد حسن لبج (لبنان: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ، "البيان والتبيين" (لبنان: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ).
الحديثي، بهجت عبد الغفور ، "أمية بن أبي الصلت حياته وشعره" (الإمارات: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "المجمع الثقافي"، الطبعة الأولى 1430 – 2009).
حسين، طه ، "من حديث الشعر والنثر" (مصر: مؤسسة هنداوي).
حسين، طه، في الأدب الجاهلي (مصر: دار المعارف، الطبعة الرابعة).
حسين، محمد الخضر ، الإمام محمد الخضر حسين "موسوعة الأعمال الكاملة" جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني (سوريا: الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م).
الخطيب، أحمد سعد، "مفاتيح التفسير" (المملكة العربية السعودية: المكتبة التدمرية، الطبعة الأولى 2010.
الخطيب، أحمد سعد، صفحته الخاصة على الإنترنت على هذا الرابط: https://tinyurl.com/yc6427dm
الخطيب، عبد الكريم، "الإعجاز في دراسات السابقين" (مصر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1974).
ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي (لبنان: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ – 2004م).
ديوان أمية ابن أبي الصلت، جمعه ووقف على طبعه الشاعر اللبناني: بشير يموت، المكتبة الأهلية، الطبعة الأولى، سنة 1934.

الرازي، فخر الدين الرازي، "مفاتيح الغيب" (لبنان: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ).
الرافعي، مصطفى صادق، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" (لبنان: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثامنة، 1425 هـ - 2005 م).
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري "الكشاف عن حقائق التنزيل= تفسير الكشاف" (لبنان: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ).
الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، "شرح المعلقات السبع" (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422هـ- 2002م).
الزيات، أحمد حسن، "تاريخ الأدب العربي" (مصر: طبعة دار نهضة مصر).
السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي "مفتاح العلوم" (لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، 1987 م).
السيوطي، جلال الدين " المزهر في علوم اللغة وأنواعها" تحقيق: فؤاد علي منصور (لبنان: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1998).
السيوطي، جلال الدين "الإتقان في علوم القرآن" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1974م).
السيوطي، جلال الدين "معترك الأقران في إعجاز القرآن" (لبنان: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1408 هـ - 1988 م).
شاكر: محمود محمد أبو فهر، تقديمه لكتاب "الظاهرة القرآنية" مالك بن نبي (سوريا: دار الفكر- دمشق الطبعةالرابعة، 2000).
الشهري، عبد الرحمن الشهري، "الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به" (السعودية: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1431 هـ).
ضيف، أحمد شوقي ضيف "تاريخ الأدب العربي" (مصر: دار المعارف)
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل القرآن"، تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، (مصر: دار هجر، الطبعة الأولى).
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل "فتح الباري شرح صحيح البخاري" (لبنان: دار المعرفة -بيروت، 1379هـ).
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" (مصر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م).
الكرماني، محمود بن حمزة، غرائب التفسير وعجائب التأويل (السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة).

المرزباني، أبو عبيد الله المرزباني، "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء"، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين(لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ– 1995).

References:

Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al-Ashʿath ibn Isḥāq, Sunan Abī Dāwūd taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd (Lubnān: Dār Ṣādir Ṣaydā Bayrūt)

Abū Zahrah, Muḥammad Abū Zahrah, "al-muʿjizah al-Kubrá al-Qurʾān" (Miṣr: Dār al-Fikr al-ʿArabī sanat 2008)

Al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Rāghib al-Aṣfahānī, "Muḥāḍarāt al-Udabāʾ wa-muḥāwarāt al-shuʿarāʾ wa-al-bulaghāʾ" (Lubnān: Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam Bayrūt al-Ṭabʿah: al-ūlá, 1420 H)

Al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī ibn Ḥajar Abū al-Faḍl "Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī" (Lubnān: Dār al-Maʿrifah-byrwt, 1379h)

Al-Bāqillānī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ṭayyib, "iʿjāz al-Qurʾān" taḥqīq al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr (Miṣr: Dār al-Maʿārif, al-Ṭabʿah al-khāmisah, sanat 1997m)

Al-Bukhāry, Muḥammad ibn Ismāʿīl Abū ʿAbd Allāh al-Juʿfī, "al-Jāmiʿ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh wa sunnh wa-ayyāmuh", (Lubnān: Dār Ṭawq al-najāh, al-Ṭabʿah al-ūlá, 1422h)

Al-Ḥadīthī, Bahjat ʿAbd al-Ghafūr, "Umayyah ibn Abī al-Ṣalt ḥayātuhu wa-shiʿruh" (al-Imārāt: Hayʾat Abū Ẓaby lil-Thaqāfah wa-al-Turāth "al-Majmaʿ al-Thaqāfī", al-Ṭabʿah al-ūlá 1430 – 2009)

Al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr ibn Maḥbūb, "al-Bayān wa-al-tabyīn" (Lubnān: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, Bayrūt 1423 H)

Al-Khaṭīb, ʿAbd al-Karīm, "al-iʿjāz fī Dirāsāt al-sābiqīn" (Miṣr : Dār al-Fikr al-ʿArabī, al-Ṭabʿah al-ūlá 1974)

Al-Khaṭīb, Aḥmad Saʿd, "Mafātīḥ al-tafsīr" (al-Mamlakah al-ʿArabīyah al-Saʿūdīyah: al-Maktabah al-Tadmurīyah, al-Ṭabʿah al-ūlá 2010

Al-Khaṭīb, Aḥmad Saʿd, ṣfḥth al-khāṣṣah ʿalá al-intirnīt ʿalá Hādhā alrābṭ: https://tinyurl.com/yc6427dm

Al-Kirmānī, Maḥmūd ibn Ḥamzah, gharāʾib al-tafsīr wa-ʿajāʾib al-taʾwīl (al-Saʿūdīyah : Dār al-Qiblah lil-Thaqāfah al-Islāmīyah – Jiddah)

Al-Marzubānī, Abū ʻUbayd Allāh al-Marzubānī, "al-muwashshaḥ fī ma'ākhidh al-ʻulamā' ʻalá al-shuʻarā'", taḥqīq wa-taqdīm Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn (Lubnān: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1415h-1995)

Al-Qurṭubī, Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr ibn Faraḥ al-Anṣārī al-Khazrajī Shams al-Dīn al-Qurṭubī, "al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān" (Miṣr: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah – al-Qāhirah, al-Ṭabʻah: al-thāniyah, 1384h-1964 M)

Al-Rāfiʻī, Muṣṭafá Ṣādiq, "iʻjāz al-Qur'ān wa-al-balāghah al-Nabawīyah" (Lubnān: Dār al-Kitāb al-ʻArabī Bayrūt, al-Ṭabʻah al-thāminah, 1425 H-2005 M)

Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn al-Rāzī, "Mafātīḥ al-ghayb" (Lubnān: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī Bayrūt, al-Ṭabʻah al-thālithah 1420h)

Al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr ibn Muḥammad ibn ʻAlī al-Sakkākī al-Khuwārizmī "Miftāḥ al-ʻUlūm" (Lubnān: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt al-Ṭabʻah al-thāniyah, 1407 H-27 M)

Al-Shahrī, ʻAbd al-Raḥmān al-Shahrī, "al-Shāhid al-shiʻrī fī tafsīr al-Qur'ān al-Karīm ahammīyatuh, wa-atharuhu, wa-manāhij al-mufassirīn fī al-istishhād bi-hi" (al-Saʻūdīyah: Maktabat Dār al-Minhāj lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, al-Riyāḍ, al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1341 H)

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn "al-Itqān fī ʻulūm al-Qur'ān" taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (Miṣr: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb sanat 1974m)

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn "al-Muzʹhir fī ʻulūm al-lughah wa-anwāʻhā" tḥqyyq Fu'ād ʻAlī Manṣūr (Lubnān: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah – Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1418h 1998m)

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn "muʻtarak al'qrān fī iʻjāz al-Qur'ān" (Lubnān : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah Bayrūt, al-Ṭabʻah al-ūlá : 1408 H-1988 M)

Al-Ṭabarī, Abū Jaʻfar Muḥammad ibn Jarīr, "Jāmiʻ al-Bayān ʻan Ta'wīl al-Qur'ān", taḥqīq : Maktab al-taḥqīq bi-Dār Hajar, (Miṣr : Dār Hajar, al-Ṭabʻah al-ūlá.)

Al-Thaʻālibī, ʻAbd al-Malik ibn Muḥammad ibn Ismāʻīl Abū Manṣūr al-Thaʻālibī "khāṣṣ al-khāṣṣ" taḥqīq Ḥasan al-Amīn (Lubnān: Dār Maktabat al-ḥayāh Bayrūt)

Al-Thaʻālibī, ʻAbd al-Malik ibn Muḥammad ibn Ismāʻīl Abū Manṣūr al-Thaʻālibī, "Zahr al-Ādāb" taḥqīq: Aḥmad Ḥasan lbj (Lubnān: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah – Bayrūt al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1417 H-1997 M)

Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʻAmr ibn Aḥmad, al-Zamakhsharī "al-Kashshāf ʻan ḥaqāʼiq altnzyl= tafsīr al-Kashshāf" (Lubnān : Dār al-Kitāb al-ʻArabī – Bayrūt, al-Ṭabʻah : al-thālithah-1407 H)

Al-Zawzanī, Ḥusayn ibn Aḥmad ibn Ḥusayn alzzawzany, "sharḥ al-Muʻallaqāt al-sabʻ" (Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, al-Ṭabʻah al-ūlá 1422h-2002M)

Al-Zayyāt, Aḥmad Ḥasan, "Tārīkh al-adab al-ʻArabī" (Miṣr : Ṭabʻah Dār Nahḍat Miṣr)

Badawī, ʻAbd al-Raḥmān Badawī, "Mawsūʻat al-mustashriqīn" (Lubnān : Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, al-Ṭabʻah al-thālithah 1993)

Ḍayf, Aḥmad Shawqī Ḍayf "Tārīkh al-adab al-ʻArabī" (Miṣr : Dār al-Maʻārif)

Dīwān Imriʼ al-Qays, iʻtaná bi-hi ʻAbd al-Raḥmān almṣṭāwy (Lubnān: Dār al-Maʻrifah Bayrūt, al-Ṭabʻah al-thāniyah, 1424h – 2004m)

Dīwān Umayyah Ibn Abī al-Ṣalt Ṣ 49. Jamaʻahu wa-waqafa ʻalá ṭabʻihi al-shāʻir al-Lubnānī Bashīr Yamūt, al-Maktabah al-Ahlīyah al-Ṭabʻah al-ūlá, 1934

Ḥusayn, Muḥammad al-Khiḍr, al-Imām Muḥammad al-Khiḍr Ḥusayn "Mawsūʻat al-aʻmāl al-kāmilah" jamaʻahā wa-ḍabaṭahā : al-muḥāmī ʻAlī al-Riḍā al-Ḥusaynī (Sūriyā : al-Nāshir : Dār al-Nawādir, al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1341 H-2010 M)

Ḥusayn, Ṭāhā, "min Ḥadīth al-shiʻr wa-al-nathr" (Miṣr: Muʼassasat Hindāwī)

Ḥusayn, Ṭāhā, fī al-adab al-Jāhilī (Miṣr: Dār al-Maʻārif, al-Ṭabʻah al-rābiʻah)

Ibn ʻAbd Rabbih, Abū ʻUmar, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʻAbd Rabbih Ibn Ḥabīb Ibn ḥdyr ibn Sālim al-maʻrūf bi-Ibn ʻAbd Rabbih al-Andalusī "al-ʻIqd al-farīd" (Lubnān : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah – Bayrūt al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1404 H)

Ibn Abī Uṣaybiʻah, Aḥmad ibn al-Qāsim ibn Khalīfah ibn Yūnus al-Khazrajī Muwaffaq al-Dīn, Abū al-ʻAbbās Ibn Abī Uṣaybiʻah, "ʻUyūn al-Anbāʼ fī Ṭabaqāt al-aṭibbāʼ", taḥqīq al-Duktūr Nizār Riḍā, Dār Maktabat al-ḥayāh – Bayrūt.

Ibn al-Ḥajjāj, Muslim, Abū al-Ḥasan al-Qushayrī al-Nīsābūrī, "al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-ʻAdl ʻan al-ʻAdl ilá Rasūl Allāh", taḥqīq Muḥammad Fuʼād ʻAbd al-Bāqī (Lubnān: Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī Bayrūt.)

Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, tafsīr al-Taḥrīr wa-al-tanwīr (Tūnis: al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984 H)

Ibn ʻAṭīyah, Abū Muḥammad ʻAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn ʻAbd al-Raḥmān ibn Tammām "al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz", taḥqīq ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Shāfī (Lubnān : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah sanat 1422 H)

Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā' al-Qazwīnī al-Rāzī "Maqāyīs al-lughah" taḥqīq ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn (Sūriyā: Dār al-Fikr, 1399h-1979m)

Ibn Ḥanbal, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal al-Shaybānī, Musnad Aḥmad, taḥqīq Shuʻayb al-Arnā'ūṭ, (al-Saʻūdīyah: Mu'assasat al-Risālah, al-Ṭabʻah al-ūlá, 2001)

Ibn Khaldūn, ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad Ibn Khaldūn, muqaddimah Kitāb Dīwān al-mubtada' wa-al-khabar fī Tārīkh al-ʻArab wa-al-Barbar wa-man ʻāṣarahum min dhawī al-sha'n al'kbr= Tārīkh Ibn Khaldūn, taḥqīq Khalīl Shiḥādah (Lubnān : Dār al-Fikr Bayrūt, al-Ṭabʻah al-thāniyah, 1988)

Ibn Khallikān, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn Abī Bakr ibn khillikān, wafayāt al-aʻyān w'nbā' abnā' al-Zamān, taḥqīq Iḥsān ʻAbbās, (Lubnān : Dār Ṣādir Bayrūt, 1994)

Ibn Rashīq, Abū ʻalá al-Ḥasan ibn Rashīq al-Qayrawānī, "al-ʻUmdah fī Maḥāsin al-shiʻr wa-ādābuh" taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd (Lubnān: Dār al-Jīl, al-Ṭabʻah: al-khāmisah, 1401 H-1981 M)

Ibn sallām, Muḥammad ibn sllām ibn ʻUbayd al-Jamḥī, "Ṭabaqāt fuḥūl al-shuʻarā'", taḥqīq Maḥmūd Shākir, (al-Saʻūdīyah: Dār al-madanī bi-Jiddah, D. Ṭ)

Ibrāhīm ʻAwaḍ, "al-Qur'ān w'myh Ibn Abī al-Ṣalt Ayyuhumā Akhdh min al-ākhar?" baḥth ʻalá Shabakah al-intirnīt. Https://vb.tafsir.net

Shākir: Maḥmūd Muḥammad Shākir Abū Fihr taqdīmahu li-kitāb "al-ẓāhirah al-Qur'ānīyah" Mālik ibn Nabī (Sūriyā: Dār al-Fikr-Dimashq alṭbʻtālrābʻh, 1420 H-2000m)